جامعـــــة القادسية
كليـــة الآداب
قسم الاثار

التربية والتعليم في العراق القديم

بحث مقدم الى كلية الآداب قسم الاثار كجزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في علم الاثار

من اعداد الطالب
نزار عبد الرحيم سعيد

بإشراف الدكتور
احمد لفته القصير

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

المؤسسة التربوية في العراق القديم

لا يعرف بالضبط متى بدا نظام المدارس في العراق القديم وحسب المعلومات المتوفرة التي تشير الى ان المدرسة كانت معروفة منذ بداية استخدام الكتابة وسيلة للتدوين [١] ويرجع عام ٢٥٠٠ ق.م وجود المدرسة في بلاد سومر بعضها مركزا لتعليم الكتابة والقراءة بالدرجة الاولى وخير دليل هو اكتشاف الكثير من النصوص المدرسية التي تضمنت قوائم بالعلامات المسمارية المعدة لغرض استنساخها من جانب الطلبة وذلك في مدينة (شروباك) و(تل فارة) في مطلع القرن العشرين قبل الميلاد.[٢]

على الرغم من وجود المدارس كما ذكرنا منذ اختراع الكتابة وسيلة للتدوين في منتصف عصر الوركاء (نهاية الالف الرابع ق.م) بدليل الرقم المكتشفة في مدن الوركاء ونفر واور وانهاه تحمل النص نفسه وقد استنسخ مرات متعددة بأيدي مختلفة وانها تحمل مثلا نصا ادبيا على احد اوجه الرقيم وتمارين رياضية على الوجه الاجر.[٣]

يعد المعبد المدرسة الاولى في العراق القديم والكهنة هم المعلمين الاوائل المؤسسين الفعليين للمؤسسة التربوية ومراكز التعليم ويمكن القول انه في العهود السورية كانت المدارس تلحق بالمعابد وكان رجال الدين يعلمون الطلبة والمتقدمين اليهم في بداية العصور فنون الانشاد وتقديم القرابين والتراتيل الدينية وبعض انواع الموسيقية بالإضافة الى تعليم بعض الطلبة على عملية حساب وجرد الممتلكات بشكل دقيق وتقييد ذلك في سجلات وهنا ظهرت لدينا طبقة من الكتبة المختصين بتدوين وادارت المعابد كما هو الحال في مدينة نفر واور واريدو, هذا ولم يكن جميع رجال الدين من الكهنة كتبة.

١- اسماعيل, بهجة خليل, الكتابة في ضارة العراق, ج ١, بغداد, ١٩٨٥, ص ٢٦١.

٢- علي, فاضل عبد الواحد, هكذا كتبت على الطين, الآداب, عدد ٢٧, ١٩٧٩, ص ٤١.

٣- الزيبادي, اكرم حليم, المدارس والتعليم في العراق القديم, مجلة بين النهرين, عدد ٨٦, ١٩٨٩, ص٤

كما لم يكن جميع الكتبة كهنة.[١] فقد وعت حاجة المعبد في العصور السومرية المبكرة والكهنة الى وسيلة لتقيد الواردات فيها مما استلزم ابتكار الكتابة لتكون وسيلة للتدوين, آنذاك وقد وردت اقدم اشارة في النصوص المسمارية المبكرة للتعبير عن صاحب سجل المعبد مصطلح (sum: sanga) وقد ترد ذكره مرارا في نصوص مدينة الوركاء الطبقة (أ٤) وتحديدا في النصوص المكتشفة في معبد الالهة أنانا.[٢]

هذا ويبدو من النصوص المكتشفة ان الكاهن الذي تولى عملية تسجيل الواردات كان يقوم بأداء الاعمال الادارية للمعبد فعلا عن تولية ادارة مخازن المعبد والعمل على تسجيل تصريف المنتجات والسلع المختلفة فيه كالخضار والاسماك والصوف والفضة, وقد استدعت الحاجة من ان يتنقل هذا الكاهن مع الباعة الى المدن المختلفة لإنجاز وتدوين وتسجيل اسعار المنتجات المصرفية ومبالغها خلال عمليات البيع والشراء, ويبدوا ذلك عندما يحكم دول المدن السومرية شخصية واحدة تملك السلطتين الدينية والسياسية وهو الأمين في بداية نظام الحكم في العراق القديم الامر الذي جعل المدرسة في بدايتها جزاء من المعبد يعمل على تطوير مهارات مجموعة من الكهنة لغرض القيام بأعمال تخص شؤون الادارة المعبدية المسيطرة على نظام دولة المدينة آنذاك وتطورت بشكل قليل عندما اصبحت تستقبل بعض الطلبة لغرض تعليمهم فن وحرفة الكهانة, ويتضح من الارشيفات المكتشفة في المعابد ان هؤلاء قد احتفظوا بتسجيلاتهم المدونة في ارشيفات المعابد.[٣]

١- روثن, مرغريت, علوم البابليين, تعريف د. يوسف صبحي, بغداد , ١٩٨٠, ص ٣٥.

٢- حسين, ليث مجيد, الكاهن في عصر البابلي القديم, رسالة ماجستير غير منشورة, بغداد, ١٩٩١, ص ٢٧.

٣- الجميلي, قصي صبحي عباس, المكتبات في العراق القديم خلال الالف الاول ق.م, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, ١٩٩٨, ص ٢٢.

من خلال ذلك يمكن القول بان المؤسسة التربوية في العراق القديم, كانت قد نشأت من رحم المعبد اي المؤسسة الدينية والتي كانت هي التي تتولى ادارة الامور في دويلات المدن السومرية اي بداية ظهور انظمة الحكم فخلال العصور المبكرة من الفترة السومرية, لذلك فان المدرسة كانت عبارة عن غرفة ملتصقة الى جانب المعبد, والمعلمون الكهنة ومنهاج التدريس تقوم على خدمة المؤسسة الدينية (الانشاد والموسيقى والحساب والعدد والتسجيل وتقديم القرابين للإلهة والتراتيل الدينية والعرافة والسحر) اضافة الى مجموعة من الاعمال الاخرى الى مارسها رجال الدين من الكهنة.[١]

ثم حدث تغير في دور المؤسسة التربوية في العراق القديم خصوصا بعد العصر الأكدى (٢٣٧١ – ٢٢١٢ ق.م) حيث انفصلت السلطة السياسية عن الدينية بشكل واضح وملحوظ واصبح الملك هو المسؤول عن ادارة الدولة وشؤونها السياسية الامر الذي اعطى الفرصة بشكل كبير للمؤسسة التربوية بالتطور والتوسع حيث ظهرت لدينا مدارس خاصة تمارس عملية تعليم الابناء القراءة والكتابة وفنون الحساب والرياضيات والفلك والتنجيم وغيرها من علوم المعرفة الاخرى, ولكن هذا لم يلغي وجود مدارس في المعابد التي استمرت في الاخرى في اعطاء المعارف للطلبة والمتقدمين اليها ولكن ليس بحجم وبشكل المدارس العامة التي انتشرت في مدن العراق القديم.[٢]

١- حسين, ليث مجيد, الكاهن في العصر, مصدر سابق, ص ١٤٦.

٢- كريمر, صموئيل نوح, الواح سومر , شيكانمر, ١٩٥٦, ترجمة باقر, بغداد ١٩٥٨, ص ٤٥.

ثم ظهرت المدارس الرسمية التابعة للدولة والمعبد معا في بداية الالف الثاني قبل الميلاد, اي في العصر البابلي القديم [١] والمدارس لم تكن دائما مرتبطة بالقصر او المعبد كما هو الحال بمدرسة أكمل – سين في مدينة اور. [٢]

وكانت المدارس الخصوصية موجودة في العصر البابلي القديم وكذلك في البيوت الخاصة التي اصبحت بأثرها تقوم بعمليات مشابهة توازي ما تقدمة الكتاتيب. [٣]

اطلق السومريون مصطلح (أي دبا) ومعناها بيت الالواح ويقابلها باللغة الاكدية (بيت طبي bittupi) على المدرسة, وتوصف كذلك بانها بيت الحكمة وانها مكان التعلم ومن المحتمل ان بيت الالواح كان ايضا المكان الذي تكتب فيه الترانيم وغيرها من الوثائق الادبية المهمة اصلا او انه كانت تودع فيه المعارف الشفوية لتجري كتابتها اولا بأول بشكلها النهائي.[٤]

لعل خير ما يمثل بناية المدرسة ما عثر عليه مؤخرا في تنقيبات تلك البيوت في حوض صرين, فالقسم الذي يشغله الطلاب هو ساحة مربعة الشكل تقريبا يحيطها من ثلاث جهات صفان من الطابوق ومستواها بمستوى الارض فضلا عن وجود دكتين احدهما دائرية الشكل لجلوس الاستاذ والاخرى مستطيلة الشكل ربما لمساعدة (الشيشكال) (الاخ الاكبر) ووجدت بجانبها وعلى الارضية مجموعة من الرقم الطينية تجاوز عددها ٢٠٠ رقيم مرتبة بشكل منتظم ومغلفة بطبقة من الطين ومادة عازلة تضم بعض الرقم مما كان مقررا لكل دارس من المواد الغذائية كالحبوب مثلا.[٥]

١- الزيباري, اكرم سليم, المدارس في العراق, مصدر سابق, ص ٥.
٢- اوتس, جون, بابل تاريخ مصور , ترجمة سمير عبد الرحيم, بغداد, ١٩٩٠, ص ٢٤١.
٣- الجادر, وليد وعبد الاله فاضل, دور العلم والمعرفة في العراق القديم, مجلة المورد, عدد ١٩, السنة ٣, ١٩٨٧, ص ٨٤.
٤- لوكاس, كريستوفى, حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم, ترجمة يوسف عبد المسيح, بغداد, ١٩٨٠, ص ٣٤.
٥- علي, فاضل عبد الواحد, هكذا كتبوا, مصدر سابق, ص ٤٣.

اما بخصوص المدارس التي كانت تابعة للقصر فيبدو انها ظهرت بشكا واضح خلال العصر الأكدى والبابلي القديم ثم العصر الاشوري الحديث والبابلي الحديث وكان الهدف من تلك المدارس والتي كانت تقع ضمن القصر الملكي اي مقر الحكم للدولة آنذاك, كان هو تهيئة نخبة من الطلبة والتلاميذ وخصوصا من ابناء العائلة المالكة الحاكمة والمقربين منها لغرض تعليمهم فنون ادارة الجيش وفن القيادة وكذلك تعليمهم مهنة وحرفة الكتابة والقراءة وتحرير الرسائل وتدوين المعلومات بالإضافة الى تعلمهم مهنة ادارة مؤسسات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية وبالتالي فان فريج تلك المدرسة سوف يلتحق مباشرة في ادارة وظيفة الى اعد مسبقا لها خلال وجودة في المدرسة التابعة للقصر , وكان يدرس في تلك المدارس حسب ما يعتقد نحسبه من المدرسين والمعلمين الاكفاء من اصحاب الخبرة في علوم الحياة المختلفة ومن اشهر الامثلة على تلك المدارس هي ما وجد في قصر زمرد لملك عاري حيث عثر المنقبين على بعض الغرف التي كانت مخصصة لغرض الدراسة والعلم بالإضافة الى وجود مكتبات ضخمة في تلك القصور, وكذلك اشارت النصوص من العصر الاشوري الحديث عن (٩١١ – ٦١٢ ق.م) انه كان في جناح من اجنحة القصور الاشورية يوجد مكان لغرض التعلم والدراسة, حيث كان يعمل الطلبة فيه على تدوين السجلات والاطلاع على الوثائق. [١]

لذلك يمكن القول بان المؤسسة التربوية ارتكزت على ثلاث مرتكزات او اسس (مدرسة المعبد و المدرسة العامة, وكذلك مدرسة القصر) ومن مجموعة شكلت عمادة المؤسسة التربوية في العراق القديم بما تقدمه من علوم ومعارف للطابة والمجتمع.

١- اسماعيل, شعلان كامل, الحياة اليومية في البلاط الملكي الاشوري, اطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة الموصل, ١٩٩٩, ص ٨٥.

المنهج الدراسي والحياة اليومية في مدارس

لقد بينت النصوص المكتشفة من مدرسة مدينة (نفر) والمؤرخة في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م) بالمناهج الدراسي والحياة اليومية للطالب فيها, وقسم من هذه النصوص مدرسية تدريبية اعده التلاميذ بأنفسهم لواجباتهم المدرسية اليومية وقد وجد ان بعضها تختلف عن الاخرى من ناحية حجم وشكل الرقم او جودة خطه فمنها ما تعود على الطلبة المبتدئين ومنها ما تعود الى طلبة في مرحلة متقدمة من التعليم.[١]

يبدا الطالب دروسه وهو صغير حيث ينهض مبكرا مع الفجر وبعد الغسل والتنظيف يتناول فطوره على عجل ثم يذهب الى المدرسة بعد ان يأخذ معه وجبة غذاء هي خبز الشعير.[٢]

يتدرج الطلبة في التعلم وصولا الى كتابة وفهم التعابير اللغوية وقواعدها النحوية وقد يتلقى دروسا في الاملاء وصولا الى مرحلة تعلم بعض التعابير التقنية لاسيما بالأدوات والحاجات التي يستخدمها في حياته اليومية والعملية كالسف والعربات او معرفة بعض المصطلحات الجغرافية ذات العلاقة بالبلدان او الانهار او المدن. [٣] وقد تضمنت الدراسة في المدارس البابلية كذلك دراسة او تعلم كتابة الاسماء الشخصية فقد لوحظ ان قسم من الرقم انتهت بعبارة كتبها المدرس وهي (igise-nisaba) كما تضمنت بعض الرقم توقيع المدرس بيده مع وجود عبارة (sumum-libsi), حيث ورد اسم الالهة (نيساب) الالهة الحاكمة لفن النسخ اي الكتابة والعثور على نماذج عديدة من التمارين التعليمية كان بمثابة دفاتر مدرسية اذ وجد ان البعض منها كانت نصوص نموذجية.

١- لزيباري اكرم سليم, المدارس والتعليم في العراق القديم, مجلة بين النهرين, عدد ٨٦, بغداد ١٩٨٩, ص٦.

٢- روثن, مرغريت, علوم البابليين, تعريب د. يوسف صبحي. بغداد ١٩٨٠, ص٣٥.

٣- الزيباري اكرم سليم, المصدر السابق, ص٦.

تستخدم للتعليم وان البعض منها تعرض للحك والتصحيح قبل ان تجف طينتها والملاحظ ان معظم الرقم المستخدمة للتدريب عليه الكتابة كانت ترصية الشكل, وكانت المدرسة تستخدم وقتذاك اسوبا تعليما يعتمد على معرفة الطالب شكل العلامة وصوتها, وهو ما يقابله بالتعليم السمعي البصري.[١]

ومن النماذج من المقاطع التي تدرب عليها تلاميذ مدرسة سبار خلال عصر الملك حمورابي كلمات متطورة تتكون من علامات تكون مقاطع منها (شادي = جبلي , شادوني =جبلنا , شادوشو = جبله).[٢]

ان الدروس المخصصة لكل يوم كان يمكن النظر فيها من وقت لأخر وكثيرا ما كانت الممارسات الكتابية على الالواح تترك جانبا بعد ان تخضع لاختبار يقوم به (الاخ الاكبر) (المدرس) للتأكد من وقتها في نهاية النهار.[٣]

لقد شملت الموضوعات الرئيسية التي تدرب عليها التلاميذ في المدرسة العلوم الدينية كالأناشيد واساطير الخلقية وكذلك العلوم الادبية وشملت اللغة والنحو والملاحم مثل ملحمة كلكامش, وكذلك الرياضيات وشملت الحساب والهندسة والفلك وغير ذلك, بالإضافة الى العلوم الاجتماعية وقد تضمنت التاريخ والجغرافية والقوانين والشرائع والتجارة, كما درسوا السحر والتنجيم والزراعة وتفسير الاحلام, فضلا عن دراسة علم الحيوان والنبات فكان لزاما على التلميذ معرفة اجزاء الجسم الحيواني والانساني ومعرفة الحيوانات المدجنة والطيور والاسماك والاشجار.[٤]

١- الجادر وليد, وعبدالاله فاضل, دور العلم والمعرفة في العراق القديم, مجلة المورد, عدد ١٦ , السنة ٣, ١٩٨٧,ص٨٧

٢- المصدر نفسه, ص٨٦

٣- لوكاس كريستوفر, حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم, ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة, بغداد ١٩٨٠, ص٣٤.

٤- المصدر نفسه, ص ٣٧.

اذا اراد الطالب ان يكون ضليعا في اللغة كان عليه ان يتقن تعلم اللغتين السومرية والاكدية وكان التخصص فيهما يحتاج الى زمن طويل ليمارس بعدها مهنته ويأخذ عنه تلاميذه المعرفة وطريقة التدريس, اما التعلم العالي فقد شمل المعارف الرياضية والفلك والموسيقى والطب وقد تلقى الطالب في بيوت خاصة تسمى (بيت مومى) معرفة تلك.[١]

وان الرجمة كانت من المواضيع الرئيسية في المنهاج البابلي وكان الطالب يتولى اسماء شخصية واسماء الآلهة من السومرية الى الأكدية او البابلية كما ظهرت في احد الرقم المحفوظة في المتحف البريطاني.[٢]

ان الطالب في بداية تعلمه لغته كان يدرس حوالي ٤٥٠ علامة مسمارية وكان في البداية يتعلم مقاطع بسيطة ثم يبدأ بالتدرج وصولا الى مقاطع اكثر تعقيدا ذات عناصر معقدة وتركيبية لاسيما لهجة النساء Emesal وكذلك مقاطع اللغات الاجنبية.[٣]

وهنالك بعض الغموض الذي يحيط بالزمن الذي كانت تدرس في اللغة السومرية والاكدية, فمن المحتمل ان التدريس كان يتم في بداية الامر باللهجة البابلية ثم شرح الامر بدراسة السومرية في العهود البابلية القديمة.[٤]

ان مدار العهد البابلي القديم حافظت على الادب بجملها وبشكلها الدقيق ذلك التراث السومري جرى دمجة في منهج الدراسة البابلية بطريقتين, اما ان المعارف الشفوية قد حدثت لتكوين مناسبة لكهنة مدينة نفر الجدد, او ان الادب الذي اعيدت كتابته قد نقل الى اللغة الاكدية واصبح مؤكدا ان كتابة المسلات كانت تعلم من دون شك في المدرسة فضلا عن مسح الاراضي كانت له مكانته فمن خلال نص جاء فيه.

١- الزيباري, اكرم سليم, المدارس والتعليم, مصدر سابق, ص ٦.
٢- المصدر نفسه, ص ٤.
3- Hallo, w. The Ancient Near East. A History, Chicago, 1971, p, 157.
٤- لوكاس, كرستوفر, حضارة الرقم, مصدر سابق, ص ٤٢.

(انت ذاهب لتقييم الراضي والاطيان ولكنك غير قادر على تقييمها) فضلا عن تعلم كتابة الرسائل.[١]

علاوة على ما ذكر فقد كانت المدرسة ايام جميلة لدى ذكرات الطلبة كما وجد الضد والنقيض في ايام اخرى فضلا عن وجود طلاب مشاكسين والذين كثيرا ما كانوا يعاقبون حيث كان العقاب البدني يستعمل بكثرة, وقد زودتنا نصوص كثيرة حول ما يمكن ان يكون مذكرات للتلاميذ عن حياتهم المدرسية حيث يتصف التلاميذ ايام المدرسة بأنها ايام طويلة مع العلم ان التلميذ كان يتمتع لعطلة امدها ثلاثة ايام سماها (ايام الحرية) وثلاث ايام اخرى هي ايام اعياد المدرسة.[٢]

وقد وصلت قطع ادبية تبين حال التلاميذ منها قطعة دونت في حدود ٢٠٠٠ ق.م وهي مذكرات طالب سومري تبين واجبات ومذكرات الطالب خلال يوم دراسي وما لاقاه من مصاعب في ذلك اليوم وكيف اهتدى الى حلها ومن المقالات (مقالة ايام المدرسة) التي من المحتمل ان يكون قد كتبها احد المعلمين في الالف الثاني ق.م وجرى فيها حالة وصف حالة التلميذ الذي ضرب في ذلك اليوم عدة مرات لخروجه من باب المدرسة من دون اذن, ما تلقى الضرب من معلم اللغة السومرية لعدم تكملة اللغة بإتقان.[٣]

وهنالك محاورة بين معلم رانية الفال مؤلفه من ١٨٠سطرا تصف الابن المتسكع في الشوارع والحذر من التسكع, كما تصف نصيحة الوالد بإكمال الواجبات المناطة به, على ان اهم مقالة هي بين تلميذين مشاكسين هما (انكي ماسو و كير تشاك) الذين يدعى كل واحد منهم افضلية على الاخر, وتنتهي بتدخل (الادميا) حكما بين المتحاورين.[٤]

١- علي فاضل عبد الواحد, سومر اسطورة وملحمة, بغداد ١٩٧٧, ص٣٨

٢- (٢)علي فاضل عبد الواحد, هكذا كتبوا على الطين , مجلة كلية الادب, عدد ٢٧, بغداد ١٩٧٩ ص٤٨.

٣- (٣)لوكاس كريستوفر, حضارة الرقم, مصدر سابقو ص٥٣-٤.

٤- (٤)المصدر نفسه, ص ٦٢.

المعاجم المدرسية واللغوية

نشطت حركة التأليف والتدوين ومعها برزت الحاجة الى وجود معاجم تهتم باللغة والترجمة لذلك وجدت العديد من النصوص التي اكتشفت في مواقع متعددة اهتمت بشتى المواضيع منها نصوص معجمية وجدت في شادويوم (تل مرمل)[١] وتحديدا في معبد الآلهة (نيسانا) آلهة النسخ والكتابة السومرية ومن النصوص المدرسة ذلك المعنون (امتحان رقم١) الثنائي اللغة ونص اخر يمثل الكتاب والكتبة ثنائي اللغة أيضا، وقد دون الكتبة جداول مطولة بأسماء الحيوانات والنباتات والأحجار وهي خدمت أغراضا لغوية أيضا وقد رمزوا لكل نوع وصنف مختلف الرموز تصدرت صنف المجموعة الخاصة مثل رمز دال على السمك والطيور والأفاعي والحيوانات المفصلية وايضاً أنواع الأعشاب والخضار وميزوا بين الأشجار المثمرة وغير المثمرة.[٢]

وقد زودتنا نصوص كل مرمل المعجمية بأكثر من ٢٧٠ نوع من الطيور كما اكتشف رقيم في مدينة سبار يتضمن ٧٠ نوع من الطيور والنص الأخير مؤرخ الى عهد الملك البابلي (ابيل رسين) هذا وان اقدم نسخ من الرقم التي دون عليها أسماء طيور وجد في عصر فجر السلالات الأول من شروباك (تل فاره)[٣]

وقد تضمنت أنواع متعددة من الطيور مثل الحجل والإوز والبط والنعامة والهدهد والوطواط والعقاب ومالك الحزين، ومن النصوص المعجمية الأخرى المعاجم الجغرافية ومعاجم الحيوان وجدت في تل حرمل مؤرخة الى عهد حكم دادوشا احد ملوك مملكة اشنونا المعاصرة لشمشي – آور الأول ملك اشور.[٤]

١- لوكاس، كريستوفر، حضارة الرقم، مصدر سابق، ص٤٦.
٢- باقر طه، موجز تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية، بغداد، ١٩٨٠، ص ٨١ – ٨٢.
٣- المصدر نفسه، ص٨٢-٨٤.
٤- اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، سمير عبد الرحيم، بغداد، ١٩٩٠، ص ١٢٣.

ومن إنجازات العصر البابلي القديم المعاجم اللغوية ذات المفردات الثنائية أي القواميس، ومن تل حداد اكتشف نصوص رياضية مدرسية متعددة، وفيها درس

تمارين هندسية، وقد استخدمت النصوص المدرسية لأغراض تدريب الطلبة على القراءة وتضم علامة واحدة أو اكثر، كما ظهرت المعاجم اللغوية التي استخدمت لتدريب الكتبة والمتعلمين على اللغة السومرية وكانت تضم كثيرا من المفردات السومرية والى جانبها معناها باللغة الاكدية، وفي هذا المجال يلاحظ ان الرقم المدرسية إفادتنا كثيرا في معرفة الكلمات السومرية وما يقابلها باللغة الاكدية، فعلى سبيل المثال، عثر في تل اسمر التابع لمملكة أشنونا في محافظة ديالى على الرقيم يعود الى عصر الملك (بيلالاما) ملك أشنونا وعلى جانبه المنبسط كتبت الكلمات السومرية فيما أعطيت ترجمتها على الجانب المحدب.[١]

وأحيانا يتضمن النص ثلاث أعمدة مخصصة للمقاطع السومرية والثاني لغرض كتابتها أو املائها، فيما أعطي العمود الثالث لغرض الترجمة الاكدية كما هو الحال في النص المذكور من مدينة نَفَر والمحفوظ في متحف جامعة فيلاديلفيا. [٢]

ان اقدم الجداول اللغوية والاحيائية جاءت من عصر حجدة نصر وفجر السلالات وسميت سلسلة (har-ra-hubullu) شملت أسماء الحيوانات والنباتات والمعادن والأحجار والصوف والثياب والمواد الغذائية ثم تطورت هذه السلسلة المهمة من المعاجم من اللغة السومرية الى اللغة البابلية، اما شرح مفردات ما يقابلها بالبابلية أو ترجمة مصطلحات سومرية، ومن السلالات الأخرى من المعاجم سلسلة (حين الطلب Ana-ittisu) وتحتوي على قوائم قانونية لتدريب الطلاب على التعبير الصحيح في مختلف المجالات ذات المساس بالقانون.[٣]

1- Civil, m., A school Exercise from tell Asmar, (studio Orientalia, vol. ٤٦, .١٩٧٥

2- I, bid. Pp. ٤٠– .٤٢

٣- الزيباري، أكرم سليم، المدارس والتعليم، ص ٧.

المكتبات وحفظ الوثائق

عرفت مخازن الألواح والمكتبات الى جانب المدرسة وسميت المكتبات بيت الرقيم أو بيت الأختام وكان الاله (خاني) مخصصا لحماية مثل هذه المراكز ويعد مدير الوثائق (الأرشيف) بيان دوبا (Pisan dubba) ممثل الاله الدنيوي. [١]ولقد استطاع الكاتب البابلي من تدوين نصوص مطولة في عدة ألواح رتبها على شكل هيئة متسلسلة ومتتابعة وذيل كلا منها بعنوان السلسلة العامة مع رقم تسلسله وبداية السطر الذي يبدأ به اللوح التالي.[٢] كما هو الحال مع سلسة افتح صندوق الرقيم واقراء النص لأسطورة نرام – سين, وقد كانت الرقم تحفظ في سلال معمولة من الطين والقصب ويوضع معها بطاقة تعريفية. [٣] وان البطاقة التعريفية في العهد البابلي القديم اظهرت وجود ثقوب في الزوايا العليا اليسرى والزوايا السفلى اليسرى التي عند ترتيبها وايصال الثقوب فان الكتابة تشكل اعمدة وليست خطوطا وهذه الرقم المحفوظة فوق الرفوف انتجت نظام الفهرسة والسجلات وعلاوة على ذلك من طرق لحفظ الوثائق والرقم فقد حفظت ايضا داخل صناديق من الطين ذات اغطية مدون عليها من الخارج عنوان الرقم وفي بعضها وضعت بطاقة تعريفية بمحتوى الصندوق وكان البابليون يحتفظون بالرقم في بيوت تشبه مراكز حفظ الوثائق يديره موظف يعرف sandabakku اي امين السجل (الارشيف) وكانت النصوص المدرسية تحفظ في المدارس وتدعى في احدى الغرف في سبار على صفوف من الرقم الطينية وتوضع فوق رفوف ربطت معها بطاقة تعريفية بواسطة حبل مبروم معمول من الالياف النباتية.[٤]

١- الجادر, وليد عبد الاله فاضل, دور العلم والمعرفة, مصدر سابق, ص ٩٦.
٢- باقر, طه, ملحمة كلكامش, ط٤, بغداد ١٩٨٠, ص ١٨.
٣- اسماعيل, بهيجة خليل, الكتابة في حضارة العراق, ج ١, بغداد, ١٩٨٥, ص ٢٦٥.
٤- المصدر نفسه, ص ٢٦٧.

وفي سبار اكتشفت مكتبة تابعة لمعبد الاله (شمس) الا ان زمن تشيدها يعود الى القرن السادس ق.م وفي مدينة (الدير) القريبة من سبار كشف عن اكثر من الف رقيم طيني مكدس في مجموعة غرف دار كبيرة تؤرخ الى العهد البابلي القديم المتأخر وكذلك الحال مع مكتبة الوركاء لذلك يمكن القول ان سجلات الدولة او وثائقها كانت موجودة منذ العصور القديمة بينما نظام المكتبات في بابل واشور لم يكن موجودا في المدد التاريخية الاولى لانشغال الحكام بأمور سياسية واقتصادية.[١]

ومن خلال التقنيات الاثارية تم الكشف عن وجود مكتبات متعددة في العصور السومرية مثلا المكتبات في البداية كانت ملحقة بالمعابد ولعل اولها المكتبة الملحقة في المعبد الرئيس بمدينة تجش (تلول الهبة((٣٢٠٠ – ٢٧٥٠ ق.م).[٢]

وقد وجدت بعض الرقم الطينية في عدد من مكتبات وادي الرافدين مرتبة بحسب احجامها وكانت الصغيرة فيها توضع في قوارير او جرار كبيرة وهنالك اربعة او خمسة انواع من المكتبات فيها مجموعة المعابد ودار السجلات الحكومية وسجلات المعاملات التجارية البارزة ومكتبة المدرسة.[٣]

واشهر المكتبات التي وجدت مكتبة مدينة نفر التي استمرت في العصر البابلي القديم وعثر فيها ما بين (٣٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠ لوح) تضمنت مواضيع قوائم الملوك وجداول رياضية وجغرافية كذلك نصوصا تعليمية, ولكن تبقى مكتبة (اشور – بأنيبال) هي الاشهر بين المكتبات الا ان زمنها يعود للعصر الاشوري الحديث وهو عصر القوة والازدهار للدولة الاشورية, ومهما يكن من امر فان المكتبة عموما مشيدة على هيئة رفوف افقية مقسمة بقواطع عمودية تحفظ بينها الرقم بشكل متسلسل عمودي او افقي كما هو الحال في مكتبة سبار.[٤]

١- الجادر, وليد وعبد الاله فاضل, دور العلم والمعرفة, مصدر سابق, ص ٩٦.
٢- قزانجي, فؤاد يوسف, مكتبات وادي الرافدين, مجلة الجامعة المستنصرية, عدد ٣ , ١٩٧٢, ص ٤٤٧.
٣- المصدر نفسه, ص ٤٥٠.
٤- الجادر, وليد وعبد الاله فاضل, دور العلم والمعرفة, مصدر سابق, ص ٩٦.

التنظيمات الإدارية للمدرسة

ان مدير المدرسة كان يطلق عليه مصطلح (اوميا ummia)وتعني الأستاذ أو رئيس الضفة وكان يلقب أيضا أبو المدرسة. [١] كما يوجد الأخ الكبير الذي كان يعاون المدير والظاهر ان عمله يتركز في المساعدة على تعليم التلاميذ الصغار. [٢] ومن أعضاء الهيئة التعليمية (المراقب) أو (الكاتب) أو (گولا) وهو على ما يعتقد انه موظف اداري ليست مهمته التعليم، وكان (uqula) مشرفا على بيوت الألواح ومسؤولا عن تنفيذ النظم الأساسية والقواعد لا سيما في المدرسة ومن المعلمين معلم الرياضيات أو كاتب القياسات والحقول ومعلم الرسم وصاحب السوط.[٣]

ولا بد وجود معلمين يتولون تدريس اللغتين السومرية والأكدية بدليل وجود نصوص ثنائية اللغة مما يدل على معرفة الكاتب بقواعد وكتابة كل لغة على حدة ولقد اقتصر التعليم على طبقة محدودة من الميسورين نظرا لكلفة التعليم الباهض وطول مدته، وكانت الأغلبية الساحقة من المتعلمين من الذكور، ومع ذلك وجدت أسماء نساء في المكتبات التجارية ومعظمهن كذلك من صنف النادتيو – الكاهنات.[٤]

على ان التعليم لم يكن عاما ولا الزاميا، فكان معظم الطلاب من الأسر الغنية اما الفقراء فكان من الصعب عليهم توفير المال والوقت اللذين يتطلبهما التعليم الطويل الأمد، وقد حدث في عام ١٩٤٦.

١- علي، فاضل عبد الواحد، هكذا كتبوا على الطين، مصدر سابق، ص ٤٣.
٢- لوكاس، كريستوفر، حضارة الرقم، مصدر سابق، ص ٣٣.
٣- المصدر نفسه، ص ٣٤ – ٣٥.
٤- علي، فاضل عبد الواحد، هكذا كتبوا على الطين، مصدر سابق، ص ٤٣.

ان احد الباحثين الألمان المختصين بالمسماريات وهو نيقولاس شنايدر استطاع ان يرهف الرأي القائم حول التعليم وطريقته من خلال دراسة المصادر القديمة نفسها والتي كانت عبارة وثائق اقتصادية وإدارية، وغيرها والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام (٢٠٠٠ ق.م) وجد ان خمسمائة شخص دونوا أسمائهم فيها على انهم من الكتبة، ولزيادة الايضاح أضاف الكثير منهم أسماء آبائهم ومهنهم، جمع شنايدر ثبتا بهذه الحقائق فوجد ان اب الكتبة – أي اباء خريجي المدارس – كانوا من طبقة الحكام، ومن (وجهاء المدينة) ومن السفراء ومن المشرفين على إدارة المعابد وضباط الجيش والضباط البحريين ومن كبار موظفي الضرائب ومن طبقات الكهنة المختلفة ومن رؤساء الاعمال والمشرفين ومن رؤساء العمال والكتبة الموكلين بإدارة دور السجلات ومن المحاسبين، وخلاصة القول كان اباء أولئك الكتبة من الموظفين الأغنياء، ومن سكان المدن، والجدير بالملاحظة انه لم يرد في تلك الوثائق أي اسم لامرأة كاتبة، فيؤخذ من هذا على ما يرجح ان قوام طلاب المدرسة السومرية كان من الذكور فقط. [١]

وهنالك حقيقة بارزة يجدر ذكرها عن النظام التعليم في المدرسة السومرية وهي ان هذه المدرسة لم تكن على شيء ما يمكن تسميته بالتعليم الحر التقدمي فللمحافظة على النظام كان لا بد من (العصا) ومع ان المدرسين كانوا على ما يرجح يشجعون طلابهم لحسن عملهم عن طريق المديح والاطراء الا ان جل اعتمادهم في تقويمهم أخطاء طلابهم عند تقصيرهم هو التجاؤهم الى العصا.

ولَم تكن حياة الطالب في المدرسة بالأمر السهل اليسير، فكان عليه ان يواظب على دروسه في المدرسة يوميا من شروق الشمس الى غروبها ولا شك انه كانت هنالك عطلة للطالب في اثناء السنة الدراسية. [٢]

١- كريمر، صوائيل نوح، من ألواح سومر، شيكاغو، ١٩٥٦، ترجمة طه باقر، بغداد، ١٩٥٨، ص ٤٧.

٢- علي، فاضل عبد الواحد، هكذا كتبوا على الطين، مصدر سابق، ص ٤٨.

الأدوات المدرسية التي يستخدمها الطالب في دراسته

أولا / الطين

اعتمد سكان بلاد الرافدين على مادة الطين في تسجيل حصيلتهم الفكرية حيث شكلوا من هذه المادة رقما ذات احجام واشكال مختلفة وقد حفظت لنا تلك الرقم الطينية تراثا زاخرا، حيث ان الطين مادة رخيصة ومتوافرة فضلا لما للطين من مزايا عدة اذا انها مادة لا تفنى كما كان لها قدسية خاصة عندهم فقد اشارت الأساطير الى انها المادة التي خلقت منها الآلهة الانسان، علاوة على استخدمها في تشيد العمائر المختلفة ومنها المعابد خلال العصور المتعاقبة. [١]

لذا كان لاعتماد السكان على هذه المادة للتدوين اثرها المميز عن غيرها من المواد التي استخدمت في أنحاء العالم القديم، فقد كان الكاتب يستخدم قطعا من الطين الطري الناعم ويحاول تنسيقها عن الشوائب العالقة بها ويشكل هذه القطع بيديه لتصبح مربعة أو مستطيلة أو دائرية أو كبيرة أو صغيرة الحجم في اغلب الأحيان بحيث يمكنه من مسكها براحة اليد ويبدا بتسوية حافاتها وزواياها، وربما كان يستخدم قلمه المصنوع من القصب أو الخشب في عملية تسوية وصقل أوجه وحافات تلك الرقم. [٢]

كانت الطريقة الشائعة في الفترات المبكرة ان تترك الألواح الطينية بعد الانتهاء من كتابتها لتجف وتتصلب بحرارة الشمس أو انهم كانوا أحيانا يفخرونها في كور خاصة لهذا الغرض لكي تتصلب اكثر. [٣]

١- سليمان، عامر، اللغة والكتابة، موسوعة الموصل، طبعة ١ ، الموصل، ١٩٩١، ص ٣٥٤.

٢- إسماعيل، بهيجة خليل، الكتابة، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

٣- سليمان، عامر، اللغة والكتابة، مصدر سابق، ص ٣٥٣.

وكانت أشكال ألواح الكتابة الطينية مختلفة الكتل والحجوم بحسب النصوص وتبعا لاختلاف العصور فمنها المستطيل والمثلث والقرمي والاسطواني والمنشوري والكروي والمغزلي والهرمي أو المجسمات الإدامية والحيوانية أو أجزاء منها، او انها تأخذ شكل المسمار وبمرور الوقت اصبح هذا النوع من المسامير اكثر عرضا حتى اصبح الواحد منها يشبه نبات الفطر، هذا فضلا عن الكتابة على قطع الأجر بما فيها الأجر المزجج. [١]

ثانيا / الحجر

كان الحجر المادة الثانية التي استخدمت بعد الطين للتدوين عليه، فقد استخدمت أنواع عدة ومنها الأحجار الرسوبية والمتغيرة (المتحولة) والأحجار. النارية كالمرمر والرخام والحلاف والديوريت الأسود والبازلت وغيره، والأحجار الكريمة وشبه الكريمة كالفيروز والعقيق واللازورد والزمرد والياقوت فقد صنعت من هذه الأحجار التماثيل والجداريات والمسلات البارزة والثيران المجنحة والأرضيات والأختام والخرز وغيرها. [٢]

ثالثا / القلم

هذا وقد استخدم الطالب في عملية التدوين والكتابة قلما من القصب بوصفها الوسيلة المباشرة التي تربط بين يد الطالب والمادة التي تتعين بها الكتابة اذ استخدم قلم القصب للكتابة على الطين وسمي القلم باللغة الاكدية (متن طم wan-tuppum) وهي ترجمة حرفية للمصطلح السومري ((GI.DUB.BA(AM)) ويعني الاسم بالعربية (قصب الرقيم) او قصب اللوح الطيني مما يشير الى ان القلم كان يصنع من القصب

١- إسماعيل، بهيجة خليل، الكتابة، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

٢- المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

وللتأكد من ذلك أيضا فقد فحص بعض الألواح الطينية المدونة بالكتابة المسمارية تحت المجهر وأمكن ملاحظة طبقات شعيرات ونتوءات صغيرة تشير الى اثار قلم القصب الذي استخدم للتدوين، ونظرًا لتوفر مادة القصب بأنواعها جيدة في أهوار بلاد الرافدين فقد صنعت منه نماذج عدة من الأقلام ذي الرؤوس المدببة والعريضة.[١]

رابعا الازاميل

استخدمت الازاميل الحديدية والبرونزية والنحاسية في عمليات النحت والنقر على الأحجار ولعل الازميل الحديدي كان اكثر الازاميل شيوعا ولا زال يطلق عليه اسم القلم عند ارباب هذه الصناعة، وهو على احجام وأطوال مختلفة، ولكن النوع الذي استخدم لنقر الكتابة المسمارية على الأحجار لا بد وان مقطعه كان مثلثا او مزوي على الأقل وبالتأكيد كانت هذه الأقلام تطرق بمطارق خاصة لتحدث الحفر الغائر المناسب فيكون وضع احدى الزوايا على السطح المستوي بينما يتم الطرق على قاعدة المثلث التي تكون الى الأعلى، وربما اختص صنف من الكتبة عرف (بالكتب على الحجر) لتنفيذ هذه المهمة بنفسه وإتمام العملية من دون الحاجة الى النقارين، وان الكتبة كانوا يحدثون النقوش بأداة حادة ليتم نقرها فيما بعد من قبل النقارين المتمرسين.[٢]

١- سليمان عامر، اللغة الاكدية، الموصل ، ١٩٩١، ص ١٤٩.

2- Sassoon,J.M., civilization for the Ancient near fast, vol. 5 , New York, 1995, p. 2266.